

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بلغ الرسالة و نصح الإمامة و دعى الله حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران. 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدي، هدي محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها و كل مُحدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

وبعد: أيها المسلمون، فما أكرم العبد نفسه بمثل الإيمان بالله و حسن الخلق، و أصل الأخلاق التوحيد، فمن فقدّه لم ينتفع بغيره، قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: إن ابن جدعان - وكان من رؤساء قريش في الجاهلية - يصل الرحم و يطعم المسكين فهل ينفعه؟ فقال: ((إن ذلك لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)) رواه مسلم.

وإذا تحلى المسلمون بأخلاق القرآن صلح المجتمع؛ وكانوا دعاة خير إلى الدين بالقُدوة والأفعال الحميدة.

نستمر اليوم بموضوع الأخلاق التي كانت قبل الإسلام و جاء الإسلام ليحث عليها و يُقرها. و من أخلاق الجاهلية التي حثَّ عليها الإسلام و أمر بلزومها: حق الجوار.

و من حق الجوار غض البصر. و هذه كانت أيضاً من عادات بعض العرب قبل الاسلام

يقول عنتر بن شداد الشاعر الشُّجاع الفارس في شعره:

وأغض طرفي إن بددت لي جرتي *** حتى يوارى جرتي مأواها

يعني: ما دام أن جرتي خرجت فأنا أغضض الطرف حتى تدخل إلى مخدعها، أو إلى مأواها أو إلى مسكنها.

و قد أمر الله عز و جل المؤمنين و المؤمنات بغض أبصارهم فقال عز من قائل في سورة النور

سورة رقم 24 آية رقم 30

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ النور: ٣٠

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ

النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور: ٣١

و قد سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن نظرة الفجأة فأمرَ بصرف البصر¹.

و قد جاء في القرآن الحث على معاملة الجار معاملةً حسنة و حفظ حقوقه:

1 سألته رسول الله صلى الله عليه و سلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري. رواه الترمذي و صححه الألباني. (صحيح الترمذي: رقم 2776)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْغَنِيِّ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ النساء:

و أما في السنة المطهرة، قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»²، وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»³، وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ»⁴.

و قد نهى الإسلام عن الإساءة للناس عامةً و جعل الإساءة للجار أشدَّ سوءاً من الإساءة لغيره فعن

عن المقداد بن الاسود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله و رسوله الى يوم القيامة. فهو حرام الى يوم القيامة. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: لان يزني الرجل بعشر نساء ايسر عليه من ان يزني بامرأة جاره. قال: فقال: ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرمها الله و رسوله فهي حرام. قال: لان يسرق الرجل من عشره ابيات ايسر عليه من ان يسرق من جاره. رواه أحمد و الطبراني في الكبير و الأوسط و رجاله ثقات.

ويُرى الآن -مع الأسف- بعض الناس لا يكلم جاره، مجافٍ لجاره، ولا يُسلم عليه و لا يرد السلام عليه، والسبب خلافٌ بسيطٌ على موقف سيّارة، أو خلافٌ بسبب إزعاج أولادٍ صغارٍ، و أشياء أُخرى بسيطة لا يجب أن تؤدي إلى عداوة بين الجيران وهذا لا شك أن الإسلام يأباه.

² أخرجه البخاري (6018) واللفظ له، ومسلم (47).

³ صحيح البخاري (6016).

⁴ صحيح البخاري (6015).

من الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام وكانت معتبرة عند أهل الجاهلية: الكرم.

فالكرم محمود، ومن قرأ في سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علم أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان أكرم الناس مع فقره وزهده.

و في رواية لابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بَلْ كَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

و كذلك الأنبياء هم من أكرم الناس فهذا إبراهيم عليه السلام يُكْرِمُ ضَيْفَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ هود: ٦٩

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثُّ الناسَ على الكرم و التَّصَدُّقِ و إطعام الطعام. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا النارَ و لو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. رواه البخاري و مسلم.

وَمَمَّنْ عُرِفَ بِالْكَرَمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: حَاتِمُ الطَّائِي، و إلى هذه الساعة إذا ذكر الكرم ذكر حاتم، حتى ضربت العرب المثل بحاتم، فقليل "أكرم من حاتم".

فحاتم الطائي كان يوقد النار في الليالي الشتائية على جبل، ويقول لرقيقه:

أَوْقِدْ، فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ * وَالرَّيْحَ، يَا مُوقِدْ، رِيحٌ صِرٌّ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ * إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا، فَأَنْتَ حُرٌّ

"ليل قر" أي: بارد. "ريح صر"، أي: عاتية.

انظر إلى الكرم! يأمر رقيقه أن يوقد النار في ليلة شتائية، ويجعل لهب النار يُرَى من مكان بعيد، فإن جاء رجل محتاج فهو حر. أي كرم هذا!

و الكرم من الصفات التي يُمدَحُ عليها الإنسان و يغطي عيوب المرء لو كان مقصرًا في بعض الأمور يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

و إن كَثُرَت عيوبك في البرايا و سرَّكَ أن يكون لك غِطاءٌ

تستر بالسخاء فكل عيبٌ يُغْطِيهِ كما قيل السخاءُ

و البُخْلُ مذمَّةٌ للرجل و صفةٌ لا يجب أن يتحلَّى بها المسلم و تنقصُ من قَدْرِهِ و قد تحطُّ من شأنِهِ. ولما جاء وفدٌ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لهم: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قالوا: جُدُّ ابْنِ قَيْسٍ، عَلَى أَنَا نُبُخِّلُهُ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ!»⁵، وفي بعض الألفاظ أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمر بتأمير غيره.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كما عند البخاري يستعيدُ من البخل فكان يقول:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، و أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، و أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، و أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، و أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. رواه البخاري اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

⁵ الأدب المفرد (296)، وصححه الألباني.